



الولادة المجهضة للشرق

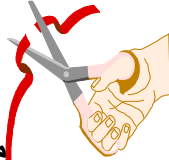
الحلقة الرابعة

شروط النهضة الحقة

من هنا نبدأ

الآن، وقد شخصنا الداء، وتعرفنا على نوعية الذباب وأصناف الفيروسات الحاملة له، فلنبحث عن العلاج الناجع والدواء الشافي من كل هذه الأورام وهذه الأسقام التي كانت سبباً في تكبيل الأمة ومنعها من السير، والتي أسدلت أستاراً من الجهل وحجباً من الغشاوة غطت بأعطاشها على أبصارها وبصائرنا حتى حالت بينها وبين تبين طريقها نحو الرقي والتحضر أسوة بسائر الأمم.

ومادامت أية مقارنة حضارية للعلاج، كمخرج من ورطة فكرية وأزمة حضارية استعصت عن كل حل، تستبعد طرماً اللجوء إلى الماضي بحثاً عن نموذج يحتدا، أو مثال سابق يحاكي، أو البكاء على الأطلال، أو جلد الذات إلى ما لا نهاية، أو الاغتراب، على ما اعتاد أصنام المشاريع ممن استعرضنا بعض نماذجهم في الحلقات السابقة، ممن كبرت دعاواهم وقل إنجازهم، فأول ما يجب القيام به هو:



(أ) **إحداث قطيعة معرفية** مع النظرة والممارسة التي استنتها هذه الأجيال المهجنة والمستلبة والفاشلة، مادام الفشل معدي ولا يتولد عنه سوى الفشل.

ولا نقصد من هذه **القطيعة المنهجية**، محاصرة ومصادرة الأفكار الحرة والنيرة، التي نحن بأمس الحاجة إليها، وإلى تحسين بذورها ورعاية زهورها وتنمية مشاتلها، وإنما هذا النمط العقيم من الأفكار، خارج بيئاتها المؤسسة، والتي تخصصوا لأجيال في اجترارها، كما أثبت واقعهم البنيس ولأزيد من أربعة أجيال متتالية، والتي دأبوا على تلقفها من أساتذتهم الغربيين على مدرجات كليات الآداب، والفلسفة، والتاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم السياسة... الخ. بعد أن تكون قد تقادمت كأفكار، وأحل بها البلي، وصارت متجاوزة، وفي عداد التحف والعاديات التي

لا تدرس سوى كتاريخ، ولا تلبي حاجات عصرها، ولا أنها كانت صالحة لأن تستنبت بحال ! في بيئة إسلامية لها مشروعها **الحضاري الكوني المفارق** ومنظورها الشامل إلى الكون والوجود.

(ب) البحث، بعد أن نكون قد حررنا **الجيل الحاضر** من الوصاية الفكرية لهذه **الأجيال المسوخ** وألقينا بإنتاجها وبأفكارها جملة إلى **مزبلة التاريخ**



، عن أقصر طريق للولوج إلى داخل الحضارة من أبوابها الواسعة وليس من ظهورها.

وهذا لن يتأتى لنا، وبحسب السنن وتجارب الأمم، سوى:

(أ) بتأسيس الأسس أولاً على **المرجعية**، والمرجعية وحدها، قبل بناء الصروح،

(ب) **تحصين المكتسبات** قبل الرهان على **المجازفات**،

(ت) **محاربة كل أنواع التقليد البليد وتنمية ملكة الإبداع** في المواطنين بدل الجمود على التقليد، أو استيراد الشعارات الفضفاضة والطنانة والرنانة التي لا يستطيعون لا فهمها، ولا تمثلها ولا إنزالها على واقع مجتمعاتهم.

ولا شك أن أول المسلمات النظرية والعملية لمن يروم بناء حضارة، وإحداث التغيير المنشود في أي مجتمع كان، هو:

(أ) أن يتبنى منظومة فكرية متساوقة وقابلة دوماً للترميم والتصليح.

(ب) وأن يظل يُسائل منطلقاتها على الدوام، وأن يعيد النظر في مسلماتها مراراً وتكراراً، وأن لا يتردد طرفة عين في هدم ما لا يصلح من المفاهيم العرفية، أو التقاليد البالية التي لا تصلح للعصر، إما لتقدمها أو لعدم مناسبتها، وإعادة البناء على أسس جديدة إن تطلب الظرف ذلك،

(ت) وأن يعمل ضمن **أنموذج منظوري شمولي يوظف المجتمع**، و**حزب سياسي محترف** قادر على تحويل الأفكار المجردة إلى منجزات متشينة؟

والحزب، كما لا يخفى، وعيوبه معروفة بما فيه كفاية، أداة إنجاز وليس غاية في حد ذاته، مادامت الإنسانية لم تكتشف بعد آلية أنجع منه لتسيير مجتمعات: الحي، والقرية، والمدينة، والدولة بطريقة أكثر تمثيلية ولا أكثر شورية.

وقد شخص **جمال الدين الأفغاني** (1254 هـ/1838 م – 1315 هـ/1897 م)



ومنذ بداية القرن الرابع عشر الهجري / نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بعض العيوب البنيوية الملازمة للأحزاب الشرقية كظلالها، والتي قلما تنفك عنها.

قال **الأفغاني** في بعض خاطراته:

الأحزاب السياسية في الشرق نعم **الدواء**، ولكنها مع الأسف لا تلبث حتى تنقلب على **بئس الداء**.

نحن نحن الشرقيين تأليف الأحزاب السياسية لطلب الحرية والاستقلال، وكل العالم لنا أصدقاء، ونضطر لتركها والكل لنا أعداء!.

والسبب في ذلك عدم التكافؤ في القوى بين الأمة وأحزابها السياسية. يقوم الحزب السياسي بعنصر ضعيف، أو بأفراد قلانل بينهم اللسن، والمحنك، ويعلنون تفانيهم في خدمة الأمة لتحريرها من ربة الاستعمار، **ويسرون خدمة أنفسهم!!!!**. فتتألف على أهل الحزب القلوب وتجتمع حولهم الكلمة، بسوق الضرورة، وداعي الحاجة، ويستحسن عملهم الغريب ويهوسهم الدخيل، شأن الحوادث المستجدة في انقلاب الأمم من طور إلى طور.

فالأمة تتخيل من وراء وعود الحزب سعادة، ورفاها وحرية واستقلالاً ومساواة على أوسع شكل قد لا يمكن حصوله في البعيد الآجل، فضلاً عن القريب العاجل، فيؤازرون الحزب بكل معاني الطاعة والانقياد والنصرة والتضحية،..... إلخ.

فإذا ما تم للحزب ما طلبه من الأمة واستحكم له الأمر، ظهرت هنالك في رؤساء الأحزاب الأثرة والأنانية ومد حب الذات عنقهن فتنقلص من القلوب تلك الطاعة وتنكمش النفوس عن ذلك الانقياد وتحصل بالنتيجة النفرة العامة.



قلت:

وهي أعضال وأعطاب لا زالت تصاحب كل أحزاب الشرق وبدون استثناء، وهي آفة لم تسلم منها الأحزاب المغاربية، التي هي أشبه بـ **دكاكين بقالة** منها من أحزاب سياسية احترافية بالمعنى العصري.

وهو نقص مشين يجب العمل على تجاوزه من خلال التأسيس لـ **حزب حضاري جديد**، و**جهته المستقبل** وليس الماضي، ويتمتع بمنظورية متكاملة في التنظيم السياسي، والتسيير الاجتماعي، والتدبير الاقتصادي اللا-ربوي.

ولا شك أن أهمية الأحزاب السياسية تنبع من كونها:

- (أ) ضرورة في تأطير المجتمع ومساعدة في تنمية الوعي بالعملية السياسية التي لا تقدم مطرد بدونها،
- (ب) هي سلم لعروج كافة المواطنين، الذين قد لا يعبأ بهم ولا يستشارون عادة في كبيرة أو صغيرة، إلى مستوى تحمل المسؤوليات، مما قد يعمل على سد الطريق أمام الانتهازيين والوصوليين،
- (ت) تساعد في تكوين الرأي والوعي بالمحكات السياسية المطروحة على الساحة، وفي تنمية القدرة على تبين الرهانات المستقبلية للأمة،
- (ث) تساعد على اختزال العملية السياسية، من خلال التعرف على البرامج والممثلين وأفكارهم السياسية،
- (ج) تزود الأعضاء بالمعلومات حول الرهانات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع عملية النقد الضروري لتسهيل الاختيار على العضو،
- (ح) تنمي الاهتمام بالشأن العام، وما يصلح للمجتمع على المدد القريبة، والمتوسطة، والبعيدة،
- (خ) وجود الأحزاب ضروري لتتم عملية محاسبة المسؤولين على المهام التي تسلموا زمامها،
- (د) فشل الأحزاب مفضي بالضرورة إلى بروز الانتهازية السياسية وسعي الممثلين إلى تنمية مصالحهم وإهمال الشأن العام،
- (ذ) وجود الأحزاب ضروري للتوصل إلى إجماع حول القضايا الخلافية،....
- (ر) وجود الأحزاب ضروري لتشغيل الشورية الإسلامية، وتشجيع الأعضاء على تحمل المسؤولية عملاً بمبدأ: المسؤولية تكليف وتشريف في آن واحد، وليست تشريفاً فقط، وكون العضو الناجح هو من يخدم الجميع من

موقعه، مع فرض الشفافية في كل تعاملات الحزب، وفرض الالتزام بالمقررات التي تقررها الشورى واللجان المتخصصة المتفرعة عنها، والتشجيع على تمثل الأخلاق الإسلامية العالية بين الأعضاء، مع التنبيه إلى أخطار الانتهازية والوصولية التي شخصها الأفغاني في خاطراته،... وغيرها من الأمور.

فالحزب من خلال جماع هذه الحثيات، مؤسسة تعمل على أنموذج خلية نحل



في توزيع المهام بين الأعضاء، بورشات دورية مستمرة يتعلم فيها الأعضاء الجدد أسس العمل الحزبي من وجهة نظر الإسلام، ويحinson معرفياً بمحاضرات يلقيها متخصصون في كل شعب المعرفة، وتدريب عملية في التسيير الحزبي، بغية فتح أعين الأعضاء على ما يمكن أن يستهوهم منها، بغرض التدرج والتخصص فيها،.....

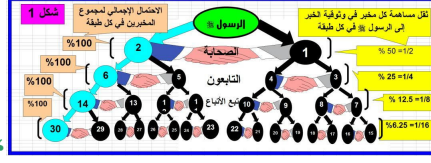
هذا على الصعيد السياسي الصرف، أما على باقي الصعد المعرفية الأخرى الموازية، فيجب إخضاعها إلى **تقويمية شاملة**، تقوم على:

(1) **تنقية المرجعية الحديثية** (المصدر الثاني للإسلام) من الدخيل المدغول، الذي كان سبباً مباشراً في تلكؤ مسيرة الأمة، وتشويه نظرتها إلى العالم والوجود، من خلال الكم الهائل من الأخبار المفتريات على رسول الله v ، حيث أن **أكثر من 98%** منها موضوع، **ولا يبنك مثل خبير**، واللاتي لا زالت تمتلى بها أمهات الكتب. **{أنظر على موقعنا: "ضعيف الصحيحين"}**

وهو عامل أفضى بالأمة إلى العماية والارتكاس، بينما ظلت الغالبية العظمى من المسلمين الإحصائيين تظن أنها على المحجة البيضاء، التي ليلها كنهارها!

وهو ما يتطلب تنقيح المرجعية الحديثية لانباء الكثير من الأوامر والنواهي والسلوك والتصورات عليها، **مخضعين الأخبار، لغربة استقصائية شمولية صارمة**، لا نقبل فيها سوى **الأخبار الراجحة الظن**

أو اليقينية، على المعيار العددي الثنوي



، أي الأخبار التي درجة

وثوقيتها في النقل فيها تقع بين 62.5 إلى 100 في المائة. {أنظر:

الهندسة الحديثية على موقعنا}

وهو الحل العلمي العملي الناجع الذي لا يقبل بكل الأخبار، كما ظل يفعل **الحشويون التسطحيون**، ولا أنه يلقي بها عرض الحائط جملة، كما دأب على ذلك: **القرآنيون العبدويون** {نسبة إلى الشيخ محمد عبده



(ت: 1905 م) {،

إعادة تأسيس كل المعارف الإسلامية على مرجعية القرآن وهذه (2)

المرجعية الحديثية المنقحة،

إعادة النظر في جميع المسائل الفقهية باعتماد الغرلة الحديثية (3)

أعلاه، بحيث تنتفي في آخر المطاف **بدعة التمدد** التي طرأت

على الساحة الإسلامية، بتشجيع من حكام الجور، منذ نهاية

القرن الثاني الهجري، والتي فرقت الأمة عزين، إلى غير رجعة.

وهو ما يجعل من دعوى: "**التقريب بين المذاهب الإسلامية**"، التي لا

ينفك الحزب **الجعفري الشيعي**، {أنظر على موقعنا: "**الأصولية الجعفرية والاجتهاد**



المؤطر بالأسطورة الجهنمية" {، الذي يتأسس مذهبه على

شفا جرف هار، على الدعوة إليها، لتبرير وجوده، بغير ذات معنى، مادامت

كل المذاهب الفقهية القديمة قد توقفت عن الإنتاج ومنذ دهر سحيق، وبأن

مسائلها تشعبت وتعوست وأصبحت من اختصاص متخصص في حقل بعينه،

ولم يعد بمستطاع الفقيه التقليدي المحدود الأفق، أن يبدي فيها أو يعيد، على

ما اعتاد الفقيه القديم أنظر على موقعنا: "التقليد والموروث والتقريب بين



السنة والموسوية ودعاوى الاجتهاد"

(4) فتح أبواب الاجتهاد والتنظير على كل التخصصات المعرفية،

سواء بالنسبة للعلوم الخادمة للمرجعية مثل:

(أ) اللغة العربية، من: نحو، وبلاغة،...

(ب) والتاريخ، والسيرة النبوية،

(ت) والتأويل التكميلي العلمي،

أو العلوم العامة من: علوم صلبة، وعلوم اجتماع، وسياسة،

واققتصاد، ودولة،... إلخ.، باعتماد فروض ومسلمات نظرية من

الأصلين وما هو متبادر من الحقائق العلمية أو الطبيعية.

أملين أن نولد بمثل هذه المعالجة الحوار البناء المنشود الذي سيطلق الأفكار مجدداً من عقالها ما أطلقتها الجدلية القرآنية الأولى، التي أسست للحضارة التوحيدية الإيمانية أول القرن الهجري (السابع الميلادي) وصارت متجاوزة الآن وبحاجة إلى إعادة صياغة وتدوين على أسس جديدة، ما كانت لتخطر قط على بال الأقدمين، بحسب آفاقهم المعرفية المحدودة آنذاك.

وهو ما عجزت عن تمثله فبالأحرى تحقيقه!!! كل هذه الأجيال العبودية المدغولة في دينها وهويتها، وبدون استثناء لغربتهم وانفصامهم عن المرجعية الإسلامية، حتى أنك قد تستغرب أن يتجشم هذا الرهط المدغول عناء البحث فيما يمكن أن يقدم المسلمين، بينما مثلوا بأشخاصهم أحد أهم أسباب انحطاطه، مادام جمعهم لا ينفك عن صنفين من الناس، لا ثالث لهما:

(ب) لا دينيين مرتدين بالمعنى الحرفي للكلمة،

ت) **زنادقة فوعيين**، حال كل منتحلي اليسار منهم،

وستقوم **"تقويميتنا"**، وعلى غرار باقي التقويميات التي قام بها فطاحل الإسلام قبلنا في أعصارهم، أنظر على موقعنا تقويميات كل من **الشافعي**، **وابن حزم**، **وابن تيمية**، **والشاطبي** على أساس:

إخضاع كل الأفكار أو النظريات المخالفة أو المناوئة للمرجعية الإسلامية للنقد، مشرحين ومبضعين لها بما تستحق من تحليل أو نقد، بغية تبني وتبينة ما يصلح منها، بعد تنقيحة من حمولته العقدية إن وجدت، مستأنفين لجدلية القرآن مع المخالفين وإغناء للحوار معهم وليس وأده، وتوخياً لإحداث التواصل معهم وليس قطعه، مادام الإسلام، لم يأت أولاً وأخيراً، سوى لإدارة **الخلافات بين البشر**، التي هي بنيوية فيهم بصريح القرآن في الآية "13" من سورة الحجرات:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

وفي الآيتين 118 و 119 من سورة هود

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

وعلى هذا المستوى من الأجرة، فيمكن اعتبار كل بحوثنا ومقالاتنا المسطرة في كتبنا والمعروضة بعضها على موقعنا، بمثابة **نويات أبحاث** في موضوعاتها، لا تستنفذ الموضوعات التي تناقشها ولا هي بقرآن منزل، بل آراء توصلنا إليها إبانها وفي وقتها، وضمن ظرفها التاريخي والمجتمعي وإحراجتهما، بحسب نافذة العصر التي أتحت لنا، واللاتي لا محالة، وبحسب سنن التطور، قد تتطلب معالجات أخرى في بيئات أخرى وفي ظروف مختلفة، أو النظر إليها من زوايا نظر مغايرة.

فالحضارة لا يبنيتها شخص، ولا يحد تخومها ومعالمها عقل، ولا يحجر عليها منظور جامد، وإنما تبني من جماع لواقح أفكار عدة أشخاص واعين وعبر أجيال متتالية، متمثلين كل التمثل لنصوص الأصليين ولسنن الكون الثابتة، وفاتحين الأبواب شرعا للأسئلة الحرجة

المستجدية للأجوبة الشافية، بغية الملاءمة المستجدة بين **الواقع المتغير** و**النص الثابت**، كلما حصل انزياح مفهومي في الدلالات بسبب الانسياب السلس لبرنامج الوجود، الذي هو كل يوم في شأن، يلفظ القديم ويعدمه من الوجود، ويتفتق بالجديد وييسر له سبل الحياة إلى حين.

انتهى